المفارقة وبعض المكونات الأسلوبية في سيرة الأيام لـ طه حسين الجزء الثالث

د. سميرة عمّار إبراهيم علي ـ كلية الآداب الجميل ـ جامعة صبراته

مقدمة :

يتضمن الجزء الثالث وحدة شبه بنيوية تمثلت في وضع عنوان لكل فصل ، وهذا لم يلتزم به الكاتب في الجزأين الأول والثاني ، فصار هذا الجزء كوحدة كلية بجميع فصوله .

وقد اتبعنا التقسيم نفسه والمكونات الأسلوبية نفسها في الجزأين السابقين وهي كالتالي :

1- المفارقة .

2- المفعول المطلق

3- التكرار

4- الاستفهام

تميز الكاتب بأسلوبه المباشر الممتنع ، واللُغة القوية التي اختار من بين ألفاظها مايصلح أن يعبر به عن حالته هذه (فاللغة في الواقع تكشف في كل مظاهرها وجهاً فكرياً ووجهاً عاطفياً ويتفاوت الوجهان كثافة بحسب ما للمتكلم من استعداد فطري وبحسب وسطه الاجتماعي والحاله التي يكون فيها).(1)

قد اتبع الكاتب في هذه الرواية أسلوباً خاصاً لسردها ، وتصويراً لأحداثها بأدق تفاصيلها ، ويمكن للقارئ أن يلمح ذلك من بداية الرواية حتى نهايتها ، فلم يضعف هذا الأسلوب ، بل أحياناً يصعد إلى أعلى درجات القوة سواء في العاطفة أو في الشفافية وصدق المشاعر عند طرح الحقيقة.

يمكن الآن رؤية ذلك من خلال :

1- المفارقة.

أ-مفارقة المستوى الدلالي

" إن الرواية .....تتألف من كلمات والكلمة علامة .....والعلامة في الواقع ثنائية الطابع ، هي رمز من جهة ومن جهة أخرى تحيل إلى الشيء المادي الذي ترتبط به خارج النص ....."(2).

والمفارقة تكشف بعض الرموز والعلامات التي يرمي إليها الكاتب ، وفي أكثر الأحيان تكشف المبهم المستغلق لدى القارئ ومنها :

المفارقة هنا تكشف نية الكاتب في أنه لايريد الكتابة عن خصوم الشيخ ، وقد كتب بتحريض من الشيخ الذي دفعه للتشهير بهم في الصحف مما أدى إلى غضبهم منه ، المفارقة تولدّت بين عدم الرغبة في الكتابه ة وإجبار الشيخ له مرغماً ، وبين هذه وتلك انكشفت المفارقة بين الرغبة والرفض.

الشيخ عبد العزيز أعجب بـ(الفتى) وهو ينقد(نظرات) المنفلوطي وحرضه على نقدها وألح في التحريض ، حتى أن (الفتى) يصف نفسه بأنه انزلق من النقد إلى طول اللسان والشيخ يغريه بالسفر لفرنسا.....(9)

مازال الفتى يفصّل المفارقة ، لشعوره بالندم وعدم الرضا عمّا فعل حيث كان يخجل ويضيق صدره كلما ذكرت له قصة نقده للمنفلوطي ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل تمادى وكتب عن الشيخ (رشيد رضا) في مجلة (الهداية) التي أنشأها الشيخ عبد العزيز جاويش وكان (طه حسين) مشرفاً ، وبالغ في الحديث عن خصمه حتى أنه استحى مما كتب حين ذُكر له ، وهذا العنف والعدوانية كان الدافع لها شيخه جاويش ، والفتى غير راضٍ عمّا يفعل ، فما الذي يرغمه على ذلك ؟ هذا كله كشفته المفارقة ، وهي الطموح لأعلى المراتب والشهرة حتى أصبح مشهوراً في المجلات ، وذلك يمكن أن تلمحه في عبارته "ولكنه علّمه الكتابة في المجلات" (10) أي الشيخ علّم الفتى الكتاب وفي المجلات وأجاز نشرها.

ومما زاد من دفع (الفتى) لهذا العداء أن الشيخ جاويش أنشأ مدرسة ثانوية ، وكلف (الفتى) بتدريس الأدب فيها تشجيعاً له على مافعل.

أقيم حفل في الجامعه القديمة لتكريم (خليل مطران) وأهدى إليه الخديو وساماً ،وكان (الفتى) حاضراً وسمع شعر حافظ ، وقصيدة لمطران ولم يعجبه شيئاً ؛ لأنها تملق للخديو، ومطران زاد بالتضاؤل أمام الأمير الذي أهدى إليه الوسام ، حيث صور نفسه بالنبتة والأمير بالشمس التي تمدها النماء والقوة والحياة.(11)

المفارقة هنا هي في غيرة (الفتى) من (حافظ) ومن (خليل مطران) ؛ لأن الخديوي أهدى الأخير وساماً ؛ ولأن الفتى كان معجباً بشعر حافظ ، فما الذي جعله لايعجب به في هذا الحفل ؟ فبين الإعجاب وعدمه تبينت المفارقه وتكشفت.

"ومأأسرع ماكان الفتى ينسى هذه الكلمات المؤذيه بعد أن يشتري هذا النسيان بليلة ينفقها مسهداً محزوناً....."(12)

بقاء الفتى مستيقظاً طوال الليل ، يعني أنه لم يستطع النسيان وهو يقول إنه نسي تلك الكلمات المؤذية ، ولكن لو تأملنا النص مرة أخرى وحللنا معانيه ، لوجدنا أنه في حقيقة الأمر لم ينسَ ، المفارقة هنا لعبت دورها في كشف ماأراد الكاتب إخفاءه عن القارئ لأول قراءة ، فبين النسيان وعدم النسيان تولدت المفارقه.
"....قال الشيخ للفتى متضاحكاً : ماشاء الله ! ماشاء الله ! فتح الله عليك وأشقاك بتلاميذك كما يشقى بك أساتذتك !!"(13)

(أستاذي يدعو عليّ بالشقاء) هذا عنوان الفصل الخامس من الجزء الثالث ، استناداً للموقف السابق ، دعاء الشيخ الأكبر على الفتى بالشقاء ؛ لأنه أجهد شيوخه بكثرة حواراته وعدم قناعته بردودهم ، ويأبى إلّا الإلحاح في المناقشة والسؤال ، مما يضطرهم لنهره بغضب وسخرية .

المفارقة حاصلة بين الردود غير المقنعة ، وبين محاولة الشيوخ إقناع الطلبة بها ، جابرين الطلبة على تقبلها ، وإن كانت غير مقبولة.

وقد اهتم د.محمد العبد بوضع مفهوم للمفارقة حيث عرّفها بأنها "أداة أسلوبية فعالة للتهكم والاستهزاء "(14)

وهذا ماحدث في النص السابق ، حيث كان الأسلوب المفارقي بالغضب والاستهزاء والتهكم ، الفتى يهدد الأستاذ حفني ناصف بنشر مقاله في الجريدة ينسب فيها شرح الكافي لهذا الأستاذ ؛ لأنه كان يخجل من ذلك(15)

المفارقة واضحة لا غموض فيها ، وهو التهديد الذي جاء من الطرف الأضعف وهو الطالب ولم يأت من الأستاذ الطرف الأقوى .

أستاذ نيّف على السبعين ، ألبانياً معدم سريع التعب يتحدث للفتى دقائق ليعلّمه الفرنسية حتى يدركه الإعياء فيغفى لحظة ثم يفيق وهكذا.....(16)

يبين الكاتب حال الأستاذ الذي يختطف منه الفتى دروسه اختطافاً ، وهذه الألفاظ التي تكوَّن منها النص تدل على أن هذا الأستاذ مازال يُدرّس مع كبر سنه وتعبه

"لأن أوضح مانهدف إليه هنا هو أن تتبين الصلة بين ماتنطق به أصوات وماتدل عليه من دلالات ، ونتعرف على أثر هذا المنطوق به فيما يوحيه إلى الأذهان من صور قد تختلف قوة وضعفاً ، وتتباين في رفعتها أو خسّتها ، تتأرجح بين الوضوح والإبهام (17)"

قد يكون النص واضحاً ، ولكن المقصود مبهماً ، وهو ما أراده الكاتب هنا.

"وكان يغيظ أخوانه بأنه سيقيم في أوربا أعواماً ، ثم يعود منها وقد اختار لنفسه زوجاً فرنسية متعلمة مثقفة تحيا حياة راقية ممتازة ، ليست جاهلة مثلهن ، ولاغافله مثلهن ولا....."(18)

وبما أن الفتى هو بطل الرواية ، أراد الكاتب أن يوضح مدى تأثير هذه الشخصية في تغيير الأحداث ، فـ"الحدث يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالشخصية ، فهي التي تسيره وتحركه وتبعث فيه الحياة ، وتعمل على تطوره تدريجياً عبر تفاعلها معه"(19)

"لم ينسَ الفتى يوماً احتفل فيه طلاب الجامعة بوداع أستاذهم (ليتمان) في آخر العام بالفندق....وألقى أحد الطلبه كلمة باللغة السريانيه واعجاب الأساتذة به"(20)

المفارقة هنا محصورة بين الفرح بالخطبه التى ألقاها الطالب – وغبطه أستاذه ليتمان به ؛ لما أتيح له من نجاح - وبين الحزن على وداع هذا الأستاذ الذي يحبه الفتى كثيراً ، ويكون " مفهوم المفارقه الذي ترتبط به العملية الأدبية (المتخيل) إلى سياقاته النظرية ، يضعنا أمام اختلافات ، هي أحياناً تناقضات....."(21)

يحدثنا الكاتب عن رفيقه الذي يصطنع الجنون أمام أهله " مازال يعقل بين رفاقه ويجنّ بين أهله حتى أصبح زوجاً وحتى رزق الولد ، قبل أن يبلغ العشرين"(22)

يصف الكاتب مقدار ثراء هذا الرفيق ، حتى أنه في يوم اشترى لنفسه خاتماً له فص

من ألماس نفيس ، ولم يفلح هذا الرفيق في الدراسة ، وهذا يذكِّرنا بقول طه حسين " أن الثراء والسعة أشياء تعوق عن طلب العلم "(23) ، وهذه المفارقة وتلك متشابهتان.

"ما أحس السعادة قط كما أحسها في ذلك اليوم....لا لشيء بل لأن سفره أصبح ديناً له على الجامعة ليس لها بُد من أن تؤديه إليه"(24)

لم يفرح بالدكتوراه أثناء إجازتها ، وإنما فرح بشيء أخر بعيد ، وهو السفر الذى عُلق لحين أخذ الدرجة الجامعية ، المفارقة في ترك الفرح القريب ، وفرح بالحلم البعيد.

"قال الصديق : أسكت يا أحمق ، فإن هذه البرقية ستكون أعظم خطراً وأبعد أثراً من المقابلة نفسها ، سيقرؤها أعضاء مجلس الإدارة ، وستقضى على ترددهم في إرسالك إلى فرنسا"(25)

هذه البرقية أرسلها الفتى للجامعة لإعلامهم بانتهاء المقابلة مع الأمير ظاهر ، وباطنها ترك الأثر لدى أعضاء مجلس الإدارة لكي يوافقوا على سفره لفرنسا ، والمفارقه تولدت بين ترددهم في الموافقة وبين قرار الموافقة.

"وأقبل الأساتذة على طعامهم غير هيابين ولا وجلين ولا مترددين ولا حافلين بهذا الفتى الجالس بينهم كأنه التمثال!"(26)

الموقف يتكرر فقد حدث هذا له مع أخيه واصحابه سابقاً ، والآن يتكرر على مائدة علوي باشا ، فقد تُرك الفتى لم يأبه لشأنه أحد ، الفتى لم يأكل حياءً وخجلاً وهيبة ، المفارقة هنا هي أن الحال نفسه سواء مع ضيق الحال أوسعته.

استلم الفتى 20 جنيها " أدى الفتى دينه ، واجاز خدم الجامعة كما أجازه علوي باشا ، وبقى له جنيهات تسعة سطا عليها أخوه فلم يبق له منها شيء!!"(27)

رجع الفتى كما كان خالي الوفاض ، انفق المال وباقيه أخذه أخوه لم يترك له شيئاً ، المفارقه هنا هي الحرمان قبل أن يجيزه علوي باشا بالعشرين جنيهاً وبعدها ، ورجع خالي اليدين كما كان.

الأب كان غاضباً عندما ترك الفتى الأزهر، ودخل الجامعة ، والأن يفتخر به أمام الأسرة والناس ، ويقول:

إن هذا الفتى أضعف بُنيَّ وأخفهم حملاً وأقلهم نفقة ، أتيح له مالم يتح لإخوانه الأقوياء المبصرين....(2) فرح الأب بابنه الآن ، وغضبه عليه سابقاً هما اللذان شكلا المفارقة.

" وهناك يلقى علوي باشا – رحمه الله – فيستقبله باسماً له رفيقا به ، وينبئه بأنه مسافر بعد أيام إلى فرنسا"(29)

سعى الفتى للسفر بكل قوته ؛ حتى أنه انشغل به انشغالاً كبيراً ، ثم نسي ذلك وفتر اهتمامه بهذا الأمر فجاء نبأ سفره مفاجئاً له ، فبين السعي وراء السفر ، والإهمال له جاءت المفارقة فارضةً نفسها بقوة.

يصف الكاتب السفينة التى ركبها لفرنسا " إنها سفين حقيرة رخيصة ،....اسمها(أصبهان).....تؤثر المهل على العجل ، وتفضّل الأناة على السرعة...."(30)

الذي يريد الفتى إيصاله لنا ، أنه اختار هذه السفينه الحقيره كنوع من الاقتصاد ، كما يريد ايصال فكره أن الحظ السيء مازال يلاحقه ، ومازال الفقر يدنو منه لايتركه حتى في السفر ، ومازال الحظ السيء يلاحقه حتى في فرنسا عندما سكن فندقا حقيرا فقيرا كما وصفه كسفينتهم ، المفارقة هنا جعلت الموقف – وإن كان مؤلماً بعض الشيء – فكاهياً ، وهو يتشكل بين الفقر في مصر وخارجها وبين هذين المفهومين المتضادين انحصرت المفارقة.

تعرض عليه أطعمة مترفة رقيقة في غدائه وعشائه في غير تقتير ولا تضييق مع إلحاح الخدم عليه بالأكل(31).

لم يتعود الفتى على هذه الأطعمه الرقيقه الرطبه التى تقدم له في الفندق ، هذا جعله يعقد مقارنه بينها وبين أطعمته الغليظة في بيته وفي الأزهر ، المفارقة مختبئة وراء جملة " مع الحاح الخدم وأصحاب الفندق عليه في أن يصيب منها أكثر مما أصاب"(32)

هذه الجملة تحتفظ بالمفارقة بين ألفاظها ، حيث لو قُرِأت مرات عدة تجد المفارقة في المعنى المقصود ، في عدم إلحاح - أهله وأصحابه وأخوته في مصر(ذوي القربى) - عليه بالأكل ، بينما في الغربة ألحوا عليه كثيراً للاستزادة في الأكل ، وهذا طبعاً يرافقه التضاد الحاصل بين التقتيرالمصاحب للأكل في مصر ، وبين الكرم المصاحب له في الغربة.

غصة وألم وغضب لعدم قدرته على البصر ، لرؤية الحِسان من النساء ، وعدم السهر في الأندية القهوات مثلما يفعل زملاؤه(33)

المفارقة هنا بين بصر أصحابه وخروجهم ليلاً للترفيه ، وبين عدم بصره وبقائه في البيت حبيس أربعة جدران ، فما حاجة المكفوف للترفيه وهو لايرى الفتيات ، ضف

إلى ذلك أنه سيكون عبئاً على أصحابه ؛ ولذلك فضّل عدم الخروج معهم.
" حين لم يكن يؤنسه إلّا صوت الصمت"(34)

تعوّد الفتى على الصمت حتى اعتبره شخصاً يؤنسه في وحدته ، المفارقه حاصله بين الصمت وبين الحشرات التي تكسر الصمت بأزيزها أحياناً ، وهذا الصوت يؤنسه أيضاً ، وبين الصمت والضجيج تكوّنت المفارقه.

".....وصل كتاب من الجامعة تنبئه فيه بأن طلاب البعثة جميعاً يجب أن يعودوا إلى مصر"(35)

يلمح الكاتب لسوء الحظ الذي يلاحق الفتى في كل مكان ، في مصر ، والأن في فرنسا ، المفارقة حدثت من اجتماع الألم والحزن والعمى مع سوء الحظ ؛ لقهر هذا الفتى الذي عزم على هزيمة كل هذا ، وبين الهزيمة وعزيمة النصر حدثت المفارقة.

"وإذا الجامعة تدعوه إلى مصر ليعود إليها كما خرج منها"(36) يصف الكاتب في هذا النص مرارة العودة إلى مصر قبل تكملة الدراسة ؛ لأن الجامعة أصيبت بأزمه ماليه ، وبين فرحه الخروج من مصر ومرارة العودة إليها تشكلت المفارقة.

" وربما أيقظه من نومه مفزعاً ، مسروراً مع ذلك بهذا الفزع....."(37)

هذا الصوت الذى كان يوقظه من نومه فزعاً يسعده ، كيف يجتمع الفزع مع السعاده ؟.

المفارقة حدثت بين السعادة والفزع ، يريد إيضاح أن هذا الصوت يعجبه ؛ لأنه معجب بتلك الفتاة ، ولهذا هو سعيد حتى إن استيقظ من النوم فزعاً وهنا تكمن براعة المفارقة.

".....خذوا أموالكم واذهبوا ، فاعبثوا بها في باريس ، أيها الحمقى...."(38)

هذا الرد من علوي باشا على الطلاب ، عندما قرروا إهداء المعونة التي تخصّم للجامعة اعترافاً بجميلها مع حاجتهم لها . فرفض علوي باشا وأمرهم بالترفيه بها عن أنفسهم لنسيان العناء الذى لقوه في الأشهر الماضية ، المفارقة حاصلة بين حاجة الطلبة لهذه المعونة وبين إهدائها للجامعة ، فبين الحاجة والتبرع تكوّنت المفارقة واضحة جلية للقارئ.

" ولكنه كان يحمل في نفسه ينبوعاً من ينابيع الشقاء لاسبيل إلى أن يغيض أو يغضب إلا يوم يغيض ينبوع حياته نفسها"(39)

يصرح الكاتب أنه حتى لو وجد السعادة ؛ فإن الشقاء لن ينسى إلا بموته ، وبين السعادة والشقاء حصلت المفارقة، ومما زاد الشقاء على الفتى مافعله أخوه الذي كان يأخذ الجنيهات التى يرسلها الأب لأبنه في أوروبا ولاتصل إليه ، كان يحتفظ بها الابن لنفسه ، وأضاف إلى هذه المأساة أنه استرد نظارة شمسية كان قد اشتراها الأخ للفتى (40).

يريد الكاتب أن يوضح ويبين للقارئ ظُلم أخيه مع ظلمة عينيه وقسوة الدنيا عليه .

" سننقل المتاع الصامت الهامد أولاً ، ثم ننقل المتاع الحي الناطق بعد ذلك"(41)

جلب الكاتب هذه المتضادات لتوضيح المفارقة ، وقد تكونت بين (الصامت ، والناطق) و (الهامد ، والحي) وهذا دليل على صمت الفتى طوال الطريق لحزنه الكبير .

سخرية الأساتذه من الطلبة المقصرين في واجباتهم (42) ، هذا يشبه ماكان يتعرض له في الأزهر من نقد وسخرية ، المفارقة هنا أن الفتى كان يتوقع أن الأساتذه في فرنسا لا يسخروا من الطلبة إذا قصّروا في واجباتهم ، ولكن المفاجأة أنهم يفعلون ذلك مثلهم مثل شيوخ الأزهر ، مما زاد من خوفه وتردده في كتابة الواجب ، كما وجهت له عبارات نقد قاسية جداً....

" فكان رائعاً حقاً أن يكون ابتهاجه بفوز زميله بهذه الدرجة العسيرة أملك له وأشهد استئثاراً به من إخفاقه هو في الامتحان!"(43)

يتحدث الكاتب عن فرح زميله الذي بشره بنجاحه في الامتحان ، ونسى حزنه عن إخفاقه ، فبين هذين المتناقضين (الفرح والحزن) تتولد المفارقه التى توضح نقاء سريره هذا الفتى.

....وفاة أستاذ الفتى المشرف الفلسفي على رسالته ....(44)

كان الفتى يحب أستاذه (دوركيم) حباً يوشك يبلغ الفتون ، فحزن حزناً عميقاً على وفاته ، كان الفتى فرحاً يتهيأ لمناقشة رسالته ، وفجأة روّع بوفاة هذا الأستاذ ، فبين الفرح بقرب المناقشة ، والحزن على وفاة المشرف تختبئ المفارقة.

" لا يستطيع أن يكتب إلى أخيه في القاهرة ؛ لأن زوجه لا تكتب العربية ؛ ولأن أخاه لايقرأ الفرنسية....."(45) تكشف المفارقة جانباً فكرياً لا يتلاءم مع بعضه البعض ، فالكتابه لا تقرأ من الأخ ، والعربية لا تفهم من الزوجه.

مكث الفتى وزوجه في بيت صديقه ، الذى أغدق في إكرامهما ، وعند السفر طالب الصديق بدينه مع الفوائد ، وبسرعه مطالبة الصديق بدينه كانت المفاجأة ، والمفارقة كانت بين مطالبة الصديق بدينه - بطريقه غير مباشره وغير المتوقعه - وبين الكرم الكبير.

"....وحين صح لهما ماكان يسمعان من أن المال يدعو المال ، ومن أن العسر لايدعو اليسر إلا قليلاً!"(46)

هذه المقوله ضحك عليها الفتى وزوجه عندما فاز سهم الباشا ، ولم يربح سهم طه حسين ، المفارقه هنا إن الفقر ليس له حظ في الربح ، والغنى كان حظه أفضل ، ولذلك كانت العبارة قريبه من الحقيقه ، فالمال يدعو المال يقصد (الباشا) والعسر لايدعو اليسر يقصد (الفقر) وهو طه حسين ، وبين الفقر والغنى ، وبين العسر واليسر تمكنت المفارقة من قحام نفسها في هذا النص.

" ويوشك الاستقلال أن ينسى وتنصرف عنه النفوس بفضل هذه الفتنة المظلمة التي كان المصري فيها يخرج يده فلا يكاد يراها " (47)

المفارقة هنا تكاد تكون مخفيه ، والقارئ لايكاد يراها بين الألفاظ ، ولو اعدنا التأمل في هذا النص لوجدناها في قوله : (يخرج يده فلا يكاد يراها) يريد الكاتب ابراز قوة الفتنة في ذلك الوقت و (اليد) ليست المقصودة ، بل المقصود هنا (اللسان) وربما كانا الاثنان معاً ، فالفتنة تبدأ باللسان وتنتهي باليد (الشجار)

ومن شدتها وعنفها حتى أن الشخص لايستطيع أن يرى شيئاً حتى يده التي هي جزء من جسمه. وبين اليد واللسان حصلت المفارقة وإن لم يذكر اللسان ولكنه لمح عنه تلميحاً ، والنص مقتبس من الآيه الكريمة التى تقول : (إذا أخرج يده لم يكد يراها....)(48)

" يراه السعديون مارقاً...ويراه القصر كافراً بالنعمة جاحداً للجميل "(49)

كان الفتى غارقاً في السياسة إلى أذنيه ، بدل أن يقضي وقته في العلم والتعليم ؛ لأنه كان يرى أن الحيدة في ذلك الوقت جبناً ونفاقاً ، وكأنه يلوم نفسه على ذلك ، وهذا واضح في قوله : "ولم يكن له بُدّ من أن يحتمل تبعات هذا الغرق أو هذا الحريق " ، وبين الرغبه في السياسه بادئ الأمر ، والرهبه منها والندم آخره تولدّت المفارقه.

يتحدث عمّا عاناه الفتى من السياسة ، وما وجده أهله من ألم...(50)

عدم سماع نصيحة الأصدقاء له بترك السياسة ، ومع مالقيه أهله من شقاء جراء دخوله معترك السياسه ، يقول أنه : يستحب تلك الشده الشديدة ، والقسوة القاسية على العافية واللين.

كيف يحب القسوة والشدة ! المفارقة بين خوفه على نفسه وأهله من تبعات السياسة ، ورضا ضميره على مايفعل لارضاء السلطان ، وبين (الخوف والرضا) تولدّت المفارقة.

ب- مفارقة عكس المتوقع :

" في هذه المفارقة يكون عمل بناء منطوق العبارة في اتجاه ، تشير كل مفرداته اللغوية إلى نهايته ، بمعنى معين مترقب ، لكن النتيجة تكون مخيبه للأمال إذ – فجأة – ينتهى بمعنى مخالف تماماً لاتجاه عمل منطوق العبارة "(51)

وهذا النوع قليل جداً ويكاد يكون نادراً في هذا الجزء.

"كان الأستاذ أغنالسيوجويدي شيخاً كبيراً نحيف الصوت ضئيله جداً..."(52)

يتوقع القارئ أن الكاتب سيقول (نحيف الجسم) وكانت المفاجأه أنه قال (نحيف الصوت) أي هادى حتى أن أقرب الطلاب إليه مجلساً لايسمعه ، النحافه صفه للجسم لشيء مادي ملموس وليس لشيء معنوي ، نقول: صوت هادئ أو منخفض ومن هنا كانت المفارقه غير المتوقعه.

" فقد لقي عنده ذات يوم تلك الفتاة التى كان الناس يتحدثون عنها فيكثرون الحديث (53)"

يتوقع القارئ عند قراءة هذا النص ، أن الناس تتحدث عن جمال الفتاة ، ولكن المفاجأه كانت بحديثهم عن طموحها وإلحاحها في هذا الطموح ، وبين ماتوقعه القارئ ، وبين المفاجأة تكمن المفارقه . وهي عكس ماتوقع القارئ.

"...فكان يقبل عليهم عابساً وينصرف عنهم عابساً..."(54)

يتوقع القارئ أن الكاتب سيقول يقبل عابساً وينصرف ضاحكاً ، ولكن المفاجأه كانت عكس المتوقع ، فالمفترض أن يقول : يقبل وينصرف عابساً ، فتولدت المفارقه بين الاقبال والانصراف ، وكانت عكس ما توقع القارئ وتصورها.

ج- مفارقة التضاد بين ثنائيات لفظية :

وفيها (تتجمع ألفاظ ثنائية على أساس من التضاد لتوليد المفارقة)(55)

أكثر الكاتب من ذكر متضادات بعينها مثل (صباحاً ومساءً ، بياض النهار وسواد الليل ، يقظاً ونائماً ، ضوء النهار وظلمة الليل ، الغني والفقير ، الشرق والغرب ، الباسم والعبوس ، الضحل والعميق ، يخافت ويجهر ،الخشونه واللين ، جد وعبث ، قليلاً وكثيراً ، المهل والعجل ، الأناء و السرعة ، هادئة ومضطربة ، أول وأخر ، سكنت وتعصف ، الماديه والمعنويه ، القديم والجديد ، حلوة ومرة ، القاسية واللينة ، قصُر وطال ، شقى وسعد ، هنا وهناك ، يسير وعسير ، الماضي والحاضر ، المودة والخصومة ، الرضا والسخط ، الأمل واليأس ، الشدة واللين ، يضيق ويتسع ، الشمال والجنوب ، يخطئ ويصيب ، المنتصر والمهزوم ، يعرفها وينكرها.

هذه المتضادات جاءت في نصوص الكاتب لتأكيد فكرة ما ، أو لتوضيح الموقف الذي عاشه الكاتب ، حتى أنه يكرر هذه المتضادات أكثر من مرة في الفقرة أو في الصفحة الواحدة ، أمّا التى كررها بانتظام في الرواية وأكثر منها بطريقه لافتة مثل (صباحاً ومساءً ، الشرق والغرب ، الأول والآخر، القاسي واللين ، المنتصر والمنهزم ، يخطئ ويصيب).

قد يأتي هذا التوضيح على هيئة ثنائيات تقابليه في مثل : " السعاده المشرقة والشقاء المظلم "(56)

" مظاهر الجمال والروعة والقبح والبشاعة "(57)

" قد جعلت شقاءه سعادة ، وضيقه سعة ، وبؤسه نعيماً وظلمته نوراً "(58)

" حتى يجعل الله بعد عسر يسراً ، وبعد ضيق سعة ، وبعد حرج فرجاً "(59)

قد يكون الشرح والإيضاح بتضاد جملة كاملة ؛ وذلك لتقريب الفهم للقارئ ظناً منه أنها غير مفهومة في مثل قوله : " بعيد عن هذا أشد البعد ، قريب منه أشد القرب "(60)

2-المفعول المطلق :

من المكونات الأسلوبية لرواية الأيام (المفاعيل المطلقة) التى لو تأملناها – والتى سيأتي حصرها – نرى أن الفعل والمفعول المطلق مستويان دلاليا ، يبين الأول الحدث العادي ، ويأتي الأخر يبين كيفية الفعل وقوّته ، وكان حظ المفعول المطلق في هذا الجزء قليل جداً مقارنة بالجزأين الأول والثاني ، ولكن يعتبر أحد المكونات الرئيسية للرواية في مثل قوله : " يحرضه تحريضاً ، قطع قطعاً ، ساخطين سخطاً ، يخلق خلقاً ، نأى نأياً ، اتصل اتصالاً ، يحوّل تحويلاً ، يفنيه إفناءً ، يختلفون اختلافاً ، يصب صباً ،

يزدرده ازدراداً ، تغير تغيراً ، يصد صداً ، يكدسونه أكداساً ، يردّون رداً ، يضطر اضطراراً ، يمرّ مراً ، يكتسب اكتساباً "(61)

ويتضح من هنا أن أول مايميز هذا الأديب عن باقي الأدباء أسلوبه العجيب في طرح الفكرة ، وبراعته في استخدام أسلوب المفعول المطلق لإخراج هذه المعاني التى فهمها القارئ.

3-أسلوب التكرار :

لم يكن التكرار في رواية طه حسين عارضاً ، بل كان يؤدي وظيفة أراد الكاتب إبرازها للقارئ ؛ بهدف التأثير فيه واجتذاب فكرهِ للتوقف والتفكر في هذا التكرار.

قد يكون التكرار للفظة مرتين في الفقرة أو الصفحة الواحدة ، وهذا كثير جداً ، وقد تتكرر من ثلاث إلى أربع مرات في مثل : " كلهم ، حين ، اللاتينية ، السلطان "(62) ولم يكن تكراره خاصا بالألفاظ المفردة فقط ، بل كان تكراره أيضاً لجملٍ بأكملها في مثل قوله : "فجأة وعلى غير علم من أهلها "(63)

" المغلوب غالباً ، والغالب مغلوب "(64)

" تصده الأزمه الماليه مرةً أخرى "(65)

" يلقى سعداً مرة أخرى "(66)

" شيء خير من لاشيء !"(67)

4-أسلوب الإستفهام :

مما يلاحظ ـ أيضاً ـ لجوء الكاتب في الرواية إلى الاستفهام ، وإن كان أقل من التكرار ، ومن المفعول المطلق ، ويختلف أيضاً عنهما في وروده متواليا أكثرالأحيان في مثل قوله : " ما كلمة الأدبيات هذه ؟ وكيف تكون في الجغرافيا والتاريخ "(68)

" فما له لايفكر في هذا السفر ؟ ومايمنعه أن يبتغي إليه الوسيلة"(69)

وغيرها كثير ، وقد يطول الاستفهام لصفحة كاملة (70) ، وأغلب هذه الاستفهامات الطويلة جاءت في المواقف الشديدة المؤلمة.

لقد حظي الاستفهام بعناية الكاتب في الرواية ؛ لأنها تشمل في مداها الدلالي الحوادث الشديدة التى تأثر بها الكاتب في صغره ؛ ولذلك لجا إليها أثناء السرد . مما لفت انتباه الدارسين والنقاد لكثرتها مقارنة بالروايات الأخرى ؛ لذلك عنوا بدراستها عناية شديدة.

الخاتمة :

من خلال ماسبق نلاحظ وبوضوح واقعية الكاتب وصراحته في السرد ، وصدق عاطفته ؛ جعلته يطرح كل مالقيه في حياته من صعوبات بكل وضوح وشفافيه ، كما جعل القارئ يحس بما يحسه الكاتب ويعيشه معه فتوصلنا إلى النتائج التالية :

1- الجزء الأول كان بمثابة اختصار للسيرة كاملة بأجزائها الثلاثة.

2- إن هذا الجزء يختلف عن الجزأين الأولين ، وذلك بجعله لكل فصل عنوانا خاصا به ، وهذا الجزء كان ملئ بالمفاجأت والأحداث ؛ وبذلك يكون " الأسلوب هو مقياس

المفاجأة تبعاً لردود الفعل ، ومعدن المفاجأة ومولدها اصطدام القارئ بتتابع جملة الموافقات بجملة ، المفارقات في نص الخطاب"(71)

3- كما نلاحظ قلة المفارقات في هذا الجزء ، ربما لأن الكاتب أصبح أكثر قوة وشجاعة وثقه بالنفس من ذي قبل ، فلزم المباشرة.

4- كان هذا الجزء أكثر وضوحاً وصراحة من الجزأين الأولين.

5- الاستفهام في هذا الجزء دائما يأتي في جمل متوالية ولم يأت فُرادى إلّا نادراً جداً.

6- عبارات قاسيه قيلت له في فرنسا ، لاتقل قسوة من تلك التى قيلت له في الأزهر ، منها على سبيل المثال لا الحصر (سطحي لايستحق النقد) جمله قالها الأستاذ لطه حسين في السوربون عندما قدم له الواجب.

7- استعمل الكاتب عبارات للتشويق ؛ لجذب القارئ ، منها قوله : "...ثم عاد منها خطوب سيأتي حديثها..."(72)

" وللمرصفي حديث طويل سيأتي في إبانه"(73)

" ولهذا كله حديث يطول..."(74)

" فأذنت له بعد خطوب لم يعرفها إلّا بعد أن أتم درسه وعاد إلى مصر"(75)

" ولكن هذا حديث لم يأت وقته بعد "(76)

8- عبارات سخر واستهزاء بقت في ذاكرة (طه حسين).

" أيكون زميلك هذا مكفوفاً "(77)

" ما أنت والعلم ! إنما أنت جاهل لاتعرف إلا النحو والفقه "(78)

" ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ! الله أكبر على العلم والإيمان . حضرتك مسلم؟"(79)

" اسكت ياشيخ جاتك الكلاب خلينا نقرأ "(80)

9- لفظة (الفتى) كانت تدل على (أخيه) الشيخ ، وفي هذا الجزء جعلها تدل على (طه حسين) ، ثم استبدلها بلفظة (صاحبنا) في نهاية الفصل الخامس عشر.

" ويطلق الأسلوب على ماندر ودقّ من خصائص الخطاب التى تبرز عبقريه الإنسان وبراعته فيما يكتب أو يلفظ"(81)

وهذا أقل مايقال على أسلوب (طه حسين) أثناء سرده لهذه الرواية ، وعبقريته في التخلص من الصراع القائم بينه وبين عقله ، في كيفية وطريقة البوح عمّا لقيه من صعوبات وآلام أثناء رحلته الطويلة مع العلم ، وقد أبدع في ذلك.

الهوامش :

(1) الأسلوبيه والأسلوب ، د. عبد السلام المسّدي ، الكاتب الجديد ، بيروت – لبنان ، ط 5 ، يناير ، 2006 إفرنجي ، صـ 36.

(2) بنية النص الروائي ، إبراهيم خليل ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف ، الجزائر العاصمة – الجزائر ، ط 1 ، 2010 م ، صـ 274 ، صـ 275 .

(3) الأيام ، طه حسين ، دار المعارف ، القاهرة – مصر ، ط 70 ، 2007 ، ح 3 ، صـ 3.

(4) المصدر نفسه ، صـ 7.

(5) المصدر نفسه صـ 10.
(6) المصدر نفسه صـ 12.
(7) ينظر المصدر نفسه ، صـ 13 ، صـ 14.
(8) ينظر المصدر نفسه ، صـ 20.
(9) ينظر المصدر نفسه ، صـ 21.
(10) المصدر نفسه ، صـ 24.
(11) المصدر نفسه ، صـ 27.
(12) المصدر نفسه ، صـ 32.
(13) المصدر نفسه ، صـ 36.
(14) المفارقه القرآنيه في بنية الدلالة ، د. محمد العبد ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط 1 ، 1994م ، صـ 18.
(15) الأيام ، مصدر سابق ، صـ 38 ، صـ 39.
(16) ينظر المصدر نفسه ، صـ 46.
(17) دلالة الألفاظ ، د. إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط 6 ، 1991 م ، صـ 38.
(18) الأيام ، مصدر سابق ، صـ 47.
(19) الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث ، دراسة في البنية السردية ، د. حسن سالم هندي اسماعيل ، دار الحامد ، الأردن – عمان ، ط 1 ، 2014 – 1435 هـ ، صـ 120.
(20) الأيام ، مصدر سابق ، صـ54-55.
(21) فن الرواية العربية بين خصوصية الحكاية وتميز الخطاب ، د. يمنى العيد ، دارالآداب ، بيروت ، ط 1 ، 1998 م ، صـ 41.
(22) الأيام ، مصدر سابق ، صـ 59.
(23) المصدر نفسه ، صـ 3.
(24) المصدر نفسه ، صـ61-62.
(25) المصدر نفسه ، صـ 67.
(26) المصدر نفسه ، صـ 68.
(27) المصدر نفسه الصفحه نفسها .
(28) ينظر المصدر نفسه ، صـ70.
(29) المصدر نفسه ، صـ 74.
(30) المصدر نفسه ، صـ76 ، صـ 78.
(31) ينظر المصدر نفسه ، صـ 80.
(32) ينظر المصدر نفسه الصفحه نفسها.
(33) ينظر المصدر نفسه ، صـ 83.
(34) المصدر نفسه ، صـ 84.
(35) المصدر نفسه ، صـ 86.
(36) المصدر نفسه ، صـ 88.
(37) المصدر نفسه ، صـ 90.
(38) المصدر نفسه ، صـ 92.
(39) المصدر نفسه ، صـ 95.
(40) ينظر المصدر نفسه ، صـ 99.
(41) المصدر نفسه ، صـ 101.

(42) ينظر المصدر نفسه ، صـ 107.
(43) المصدر نفسه ، صـ 120.
(44) ينظر المصدر نفسه ، صـ12.
(45) المصدر نفسه ، صـ 145.
(46) المصدر نفسه ، صـ 148.
(47) المصدر نفسه ص 162.
(48) القرآن الكريم ، برواية قالون عن نافع ، سورة النور من الآيه (39).
(49) الأيام ، مصدر سابق ، صـ 163-164.
(50) ينظر المصدر نفسه ، صـ 164.
(51) بناء المفارقة ، د. سعيد شوقي ، ايتراك للنشر والتوزيع ، القاهرة – مصر ، ط 1 ، 2001م ، صـ 255.
(52) الأيام ، مصدر سابق ، صـ 8.
(53) المصدر نفسه ، صـ 27.
(54) المصدر نفسه ، صـ 38.
(55) بناء المفارقه ، د. سعيد شوقي ، مرجع سابق ، صـ 191.
(56) الأيام ، المصدر نفسه ، صـ 95.
(57) المصدر نفسه ، 115.
(58) المصدر نفسه الصفحه نفسها.
(59) المصدر نفسه صـ 149.
(60) المصدر نفسه ، صـ 62.
(61) المصدر نفسه ، صـ 10 - 163.
(62) المصدر نفسه ، صـ 35 ، 101 ، 117 ، 153 ، 156 على التوالي.
(63) المصدر نفسه ، صـ 26.
(64) المصدر نفسه ، صـ 34.
(45) المصدر نفسه ، صـ 87.
(66) المصدر نفسه ، صـ 143.
(67) المصدر نفسه ، صـ 162.
(68) المصدر نفسه ، صـ 8.
(69) المصدر نفسه ، صـ 47.
(70) المصدر نفسه ، صـ 63 -64 -68 -77 -78 – 90- 101 – 109 – 114 – 141- 153.
(71) البنيوية في اللغة والأدب والخطاب ، د. الصادق إبراهيم البصير ، كليه الأداب ، جامعة سبها ، منشورات جامعه سبها ، ط 2006 ، صـ 99.
(72) الأيام ، مصدر سابق ، صـ 41.
(73) الأيام ، مصدر سابق ، صـ 43.
(74) الأيام ، مصدر سابق ، 53.
(75) الأيام ، مصدر سابق ، صـ 119.
(76) الأيام ، مصدر سابق ، صـ 134.
(77) الأيام ، مصدر سابق ، صـ 32.
(78) الأيام ، مصدر سابق ، صـ 33.
(79) الأيام ، مصدر سابق ، صـ 35.

(80) الأيام المصدر نفسه الصفحه نفسها.
(81) الأسلوب والأسلوبية ، د. عبد السلام المسدّى ، مرجع سابق ، صـ 56.